المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (51) نوفمبر 2023
Volume (51) November 2023
IJOHSS

تجليات النور وتداعياته في شعر الشَّريف الرضي (قراءة سيميائية)

أ.م.د. مريم عبدالنبي عبدالمجيد
مركز دراسات البصرة والخليج العربي، جامعة البصرة، العراق
البريد الالكتروني: rakotaje@yahoo.com

الملخص

عبَّر الشَّريف الرَّضي باستعماله لمفردات النور والظلمة عن فكره وعواطفه ورؤيته للكون وما فيه، من مظاهر، ومفاهيم، وقيم، عبر أساليب فنية مميزة، فورد الدال السيميائي النور في غرض المديح في ديوانه بوصفه علامة على: الجمال، والكرم، والبروز، والتفوّق في البطولة، والمجد، والتميّز، واليقين. بينما تجلت سيميائية النور في غرض الرثاء للدلالة على حدث استثنائي، وتاريخ مميز من السموّ، الذي يرتبط مع شخصية المرثي، مع إيراد علامات مجاورة تُصور صفاته النفسية، والخلقية.

الكلمات المفتاحية: الشعر، الشَّريف الرضي.

Manifestations of Light and its Repercussions in the Poetry of Al-Sharif Al-Radi (A semiotic reading)

Asst. Prof. Dr. Mariam Abdulnabi Abdulmajeed
Center For Basra and Arab Gulf, University of Basrah, Iraq
Email: rakotaje@yahoo.com

ABSTRACT

By using the vocabulary of light and darkness, Al-Sharif Al-Radi expressed his thought, emotions, and vision of the universe and its manifestations, concepts, and values, through distinctive artistic methods. He used the semiotic signifier, light, for the purpose of praise in his collections, describing it as a sign of: beauty, generosity, prominence and superiority in heroism, glory, distinction, and certainty. And lamentation, while the semiotics of light was evident in the purpose of lamentation to indicate an exceptional event and a distinct history of sublimity that is associated with the character of the lamentator, with the inclusion of adjacent signs that depict his moral, and intellectual qualities.

Keywords: poetry, Sharif Al-Radi.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.51.2023.636

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (51) نوفمبر 2023
Volume (51) November 2023
IJOHSS

مقدمة:

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على النبي العظيم محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين، أما بعد:

امتلك الشَّريف الرَّضي مقدرة شعرية عالية، تنمّ عن ثقافة واسعة، وتمكُّن في اللغة لا يُستهان به، وقد استلهم الشَّريف الرَّضي في ديوانه معظم المعاني التي تحيل على ذاته، وعلاقاته، وواقعه، وواقع العرب، وما فيه من مظاهر، وأنساق ثقافية، وانطوت قصائده على أساليب متعددة، وصيغ نتجت عن تأثره بأحداث عصره، وعلائقه مع الكون، والناس، عبر معايير جمالية ميَّزت شعره، فضلاً عمّا فيه من رموز مختزلة، لأبعاد، وغايات تحيل على بنى خاصة، وقضايا تشفّ عن رؤى الأنا، وهُويتها الفكرية، الفلسفية، ونظرته للحياة، والأحياء، إذ إن الإشارات المتعددة التي حفل بها شعر الشَّريف الرَّضي، تُبلور مفاهيم تتمثل وعيه، وعاطفته، كما تتمثل الآخر، وما بينهما من تغاير، أو ائتلاف.

وقد استلهم الشَّريف الرَّضي الإشارات الدالة على النور، والظلمة، وما فيهما من تجليات، وتداعيات، في مواضع متعددة من ديوانه، عبر أساليب، وبنى لغوية، عبَّرت عن فكره، وهواجسه، وكشف باستعماله لمفردة النور بوصفها علامة على مدلولات خاصة، عن مفاهيم متعددة، قدمها للمتلقي في غرضي: المديح، والرثاء، وقد اتبعنا في البحث المنهج السيميائي:

السيميائية:

السيمياء هي الإشارة والعلامة، وللعلامة مكانة مهمة في الكون، فهو يتألف من مجموعة من الظواهر، الدالة على علامات، مثل المطر الدال على الخصب وغيره، وللعلامات في الكون أشكال متعددة، مثل المفردات، والإشارات، والرموز وغيرها، والعلامات إما أن تكون لفظية، أو مرتبطة بالحواس، أو أيقونية، فالأيقونة" أحد أشكال العلامة يبدو لنا فيها الدال شبيها أو محاكيا للمدلول على نحو واضح، من حيث المظهر، أو الصوت، أو الملمس، أو المذاق، أو الرائحة، أي مماثلاً له في بعض خصائصه، ومن هذه الأشكال الأيقونية للعلامة الصورة الشخصية(البوتريهات)، والرسوم التوضيحية، والنماذج القياسية، والكلمات التي تحاكي في صوتها معناها، والاستعارات اللغوية"[1]، والسيميائية مثل غيرها من النظريات لها مسيرة طويلة ،إذ بدأت بوادرها منذ عهد الإغريق، لتكتمل أركانها العلمية في القرن العشرين.

فوردت عند الإغريق لدى افلاطون بلفظ semeion، بوصفه مرادفاً للعلامة اللسانية، بينما وضع أرسطو فرقاً بين semeion والعلامة اللسانية، إذ عدّ العلامة مفهوم برهاني: ضروري، أو احتمالي، وبذلك فهي تفتقر القدرة على الاستدلال، بينما تمتلك الـــ semeion قدرة تؤهلها للولوج في العمليات الاستدلالية[2]، وقد لاحظ أرسطو في متابعته الكلام فروقًا بينه وبين الأشياء، والأفكار، وتوصل إلى أن الأشياء هي مدركات الحواس، بينما الأفكار هي وسيلة لمعرفة الأشياء، والكلام أصوات متموضعة في وحدات تُخبر عن الأفكار، وبذلك ساهم في تحديد فحوى التوسط بين الحدود المكونة للعلامة، وتمثلت عناصره بـــ دال ومدلول ومؤول، هي الأشياء والكلام والأفكار[3]. أما في لغة العرب فترجع السِيمياء، والسِيماء، والسِيمة، والسُومة، إلى جذر واحد هو سَوَمَ، ويعني العلامة[4]، وقد ورد ذُكر السيما بمعنى(العلامة) في القرآن الكريم ست مرات[5]، منها قوله تعالى:﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾[6]، كما وردت بمعنى العلامة في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ ، بقوله: "يخرج ناس من قبل المشرق ويقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه. قيل ما سيماهم؟ قال: سيماهم التحليق، أو قال التسبيد"[7]. كما وردت السيما في الشعر العربي القديم، ومنه قول عكاشة بن عبد الصمد المهدي:

طَرفي يذوب وماءُ طرفك جامدٌ وعليّ من سِيما هواكِ شواهدُ [8]

واتجهت السيميا عند العرب إلى السحر والطلاسم التي تستعمل أسرار الحرف، والرمز، والتخطيط، كما ارتبطت بالكيمياء، ولذلك اتهم جابر بن حيان التوحيدي(ت200ه) عالم الكيمياء المشهور بأنه كبير السحرة، كما اتهم كثير غيره، ومنهم على سبيل المثال محمد بن محمد اللثامي، والسهروردي، وعلي بن أبي بكر الهروي، وقد سميت السيمياء بكيمياء القرون الوسطى، كما أُطلق عليها لفظ الخيمياء[9]. واتجه عدد من فلاسفة العرب المسلمين المتأثرين بالمدرسة الرواقية بالسيميائية إلى البعد الفلسفي بتناولهم لموضوع الدلالة، كابن سينا، وابن رشد، والفارابي، والغزالي، فبينوا ما تمتلكه الألفاظ من الأثر النفسي، وهو ما يطلقون عليه الصورة الذهنية ،التي لا تبعد كثيراً عما نادى به دي سوسير، كما عدّوا الكتابة أيضاً دالة على الألفاظ التي تدل على المعاني[10]. وأخذ

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.51.2023.636

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (51) نوفمبر 2023
Volume (51) November 2023
IJOHSS

القول بالسيميائية عند الكتاب العرب موضعاً في مصنفاتهم، ولا سيما الأدبية منها، مثل الجاحظ الذي قال في صفة الخطيب: "عند العرب العمة وأخذ المخصرة من السيما"[11]، وقال في موضع آخر في صفة أهل الحرم: "كانت سيما أهل الحرم إذا خرجوا من الحرم إلى الحلّ في غير الأشهر الحرم أن يتقلدوا القلائد، ويعلقوا عليهم العلائق"[12]، أما الجرجاني فقد نبّه إلى استعمال الإشارة، والرمز، والإيماء؛ للدلالة على المعاني الخفية التي لا تقصد من اللفظ ذاته، إذ قال: "ولم أزلْ منذُ خدمتُ العِلْم أنظر فيما قاله العلماء، في معنى الفصاحةِ، والبلاغةِ، والبيانِ، والبراعةِ، وفي بيانِ المغْزى من هذه العباراتِ، وتفسيرِ المرادِ بها، فأجد بعض ذلك، كالرمز، والإيماء، والإشارةِ في خَفاء، وبعضه كالتَّنبيه على مكانِ الخبيء ليطلب، وموضع الدفينِ ليبحث عنه فُيخرج"[13]. وفي الاتجاه ذاته ذكر الجاحظ الإشارة في معرض حديثه عن دلالات المعاني وأقسامها، في كتابه (البيان والتبيين)، قال: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني، من لفظ، وغير لفظ ،خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال، وتسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات"[14]. أما في الغرب فظهرت السيميائية بوصفها مذهباً نقدياً في القرن العشرين، على يد عالمين هما: العالم السويسري فردينان دي سوسير، وفيلسوف المنطق الأمريكي تشارلز ساندرز بيرس، وقد ارتبط هذا المذهب بالمفاهيم التي تبنتها اللسانيات، بارتباط العلامة بالدالة اللغوية، بوصف العلامة وحدة دلالية تتولد عبر ارتباط افتراضي بين جزء تعبيري سُمي الدال، وتصوُّر مفهومي له سُمي المدلول، فعرَّف دي سوسير السيميولوجيا بأنها: " العلم الذي يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية"[15]، ومن ثم أصبحت السيميولوجيا علماً قائماً، بفضل الجهود التي قدمها العالم الأمريكي بيرس، الذي ابتكر نظرية خاصة بالإشارة، وجعلها شاملة لمختلف العلوم سواء الإنسانية منها، أم الطبيعية، قال: " لم أكن في يوم ما قادراً على دراسة كل ما درسته، رياضيات، ذهن، ميتافيزيقا، تجاذب، علم الحراريات، البصريات، والكيمياء، التشريح المقارن، علم الفلك، علم النفس، والفونيتيك، الاقتصاد، تاريخ العلوم، .... الرجال، والنساء، ... ما لم تكن دراسة سيميائية" [16]. وبذلك أضحت الإشارة الدالة بمختلف اتجاهاتها تنتمي لعلم السيمياء، الذي تبلور وتكاملت مناهجه معرفياً للبحث في مختلف اتجاهات النشاط المعرفي الإنساني، ومنها السيميائيات الأدبية، و" وظيفتها الأساسية تكمن في دراسة الأدب من خلال العمل الأدبي المفرد، وذلك باعتباره تنويعاً لمقولة الأدب، إنه عمل مستقل يجمع بين نظامين هما: النظام اللغوي، والنظام الأدبي"[17]، فيدرس المنهج السيميائي النصوص الأدبية بأبعادها المتنوعة، وبما تضمّه من إشارات، وعلامات، تمتلك دلالات بعيدة، بالتزامن مع علوم أخرى تساعد في كشف البنية العميقة للدال، مثل الفلسفة، والتاريخ، والاجتماع وغيرها، فيقدم للمتلقي عناصر منتقاة من النص، يستكنه معناها الظاهر والباطن عبر تحليل العلامات[18]، وقد تناول بحثنا في شعر الشريف الرضي مفردة النور بوصفها دالة سيميائية:

مفردة النور:

حقيقة النور هي الضوء الذي ينتشر ويساعد على رؤية الأشياء، والظواهر، وهو وظيفة الأجسام النيِّرة مثل الشمس، والقمر، والنجوم وغيرها، قال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا يونس﴾ [19]، والنور اسم من أسماء الله تعالى، قال عز وجل:﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾[20]، وفي القرآن الكريم سورة اسمها (النور)، وقد ذكر لفظ (النور) في القرآن الكريم في أكثر من أربعين موضعاً، في عشرين سورة، وتضمن القول به الدلالة على: النور الحسّي الذي يساعد على البصر مثل الشمس، والقمر، أو المعنوي الذي يعقل بعين البصيرة مثل نور الهدى، واليقين، كما تضمن دلالات تحدثت عن نور الذات الإلهية، كقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾[21]، ومنها دلالات عن الكتب السماوية، كقوله تعالى:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[22]، ومنها في وصف الأجرام السماوية، كقوله تعالى:﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [23]، ومنها عن حال المؤمن والكافر في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى:﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[24]، لغوياً: النون والواو والراء أصل صحيح يدلّ على الإضاءة والضياء[25]، فالنور"هو الظاهر الذي به كل ظهور، الظاهر في نفسه المظهر لغيره "[26]، وقد أورد بعض علماء اللغة العرب النور والضياء بمعنى واحد[27]، ووضع آخرون فروقاً بينهما، فقالو : إن الضياء هو الذي يكون في ذات الشيء مثل الشمس، بينما النور ما يكون مكتسباً من الغير مثل استنارة الجدران من الشمس، وقيل إن الشمس هي مضيء بالذات فقط، وما عداها مستضيء بها[28]، كما قيل: إن الضوء أقوى من النور، وإن الضوء هو فرع النور، وقيل إنه لما بالذات، والنور لما بالعرض والاكتساب، والضياء صادر عن مضيء، وحالة من حالات النور[29]، وبالمجمل فإن النور اصطلاحا: "هو اسم للكيفية العارضة من

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.51.2023.636

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (51) نوفمبر 2023
Volume (51) November 2023
IJOHSS

الشمس، والقمر، والنار، على ظواهر الأجسام الكثيفة كالأرض"[30]. أما في مجال العلوم الصرفة، فتعرف دراسة الضوء بالبصريات، وهي نطاق بحثي أساس في الفيزياء الحديثة، والضوء بحسب علم البصريات: هو إشعاع كهرومغناطيسي مرئي من قبل العين البشرية، وتقدر أطوال الموجات للضوء المرئي ما بين المدى الضيق 420–680، إلى المدى الأوسع 380-800 نانومتر، ويستطيع الإنسان في الظروف المثالية أن يرى الأشعة تحت الحمراء، التي يصل طولها الموجي إلى 1050 نانومتر، أما أهم خصائص الضوء المرئي فهي: الشدة، واتجاه الانتشار، والتردد أو الطول الموجي، والطيف، والاستقطاب، وتقدر سرعة الضوء في الفراغ بـ(299,792,458م/ث)، وهي من الثوابت الأساسية في الكون[31]، وقد تكرر استعمال الشريف الرضي لمفردة النور في غرض المديح والرثاء، بوصفها دال للتعبير عن مفاهيم سنبينها عبر الآتي:

سيميائية النور في مديح الشريف الرضي:

تكرر الدال السيميائي (النور) بمعناه الحسّي، أو المعنوي، في شعر الشريف الرضي في غرض المديح، بوصفه إشارة أو علامة على: الجمال، والكرم، والبروز والتفوق في البطولة، والمجد، والتميز، واليقين، فهو دالة مركزية يحملها الممدوح ويتميز بها، بالتوازي مع ذكر صفاته التي يعلو ويسمو بها على الآخرين، فيتخذ الشاعر من ثيمة النور منطلقاً لوصف ممدوحه، حيث تأخذ شخصية الممدوح دوراً بارزاً في العمل الشعري بإضافة النور لسياق مدحه، ووصف ما يميزه عن الآخرين، ومنه ورود النور بصيغة الجمع (الأنوار) في قوله يمدح فخر الدين أبا غالب بن خلف:

ما نرى عندَ غيركم من جميـــــــــلٍ ليس إلاّ مِن عندِكم مُستعـــــــــارا
قد رأينا الإحسانَ منكُم عِيانـــــــاً، وسمعناهُ عنكُـــــــمُ أخبـــــــارا
من رأى قبلكُم شموساً مضيّـــــــا تٍ جمعنَ الأنـــــــوارَ والأمطـــارا
نظرُ الحلّةِ الخفيّةِ عنـــــــــــدي، نظرُ الغيثِ صـــــــابَ يبغي قرارا
لم يغالط عَنها اللِّحاظُ، ولا أصـــــ فَح عنها فعـــــلَ اللئيـمِ ازورارا
بادرَ الحادثَ المُعدَّ إليهـــــــــــا، ورأى الغُنمَ أن يكـــــونَ بـــدارا
يُوقدُ النارَ للقرى، وعليـــــــــــها حسبٌ لو خبـــــــا الوقودَ أنـــارا [32]

أحالت الدالة السيميائية الأنوار في النص على صور الطبيعة، وما فيها من جمال منسل من الشمس وضوئها، وقد تعالقت مع الخصب الدال عليه الأمطار، بالتوازي مع ذكر الفعل أنار؛ لتعظيم الدلالة على جمال، وكرم، وعراقة النسب لممدوحه، فقدم الشاعر عبر هذه الدلالة السيميائية الحسّية للنور المدى الجمالي للممدوح، في جانبه الأخلاقي، والبدني، باستدعاء السمو، والشرف، والجود، فهي حملت في فضاء نصه القيم الدال عليها النور للإشارة على منزلة الممدوح العالية، فكانت إحالة النور إليه علامة ومدى يعنى بحدود تجليها في شخصه، الذي يضمّ وجوده المعنوي، وصيرورة حياته، وما تضمّه من مآثر، وبذا يشكل ولوج هذه المفردة في معرض المديح بؤرة تعمل على إعلاء، وكشف شخصية الممدوح، في تجلياته المختلفة التي يخصها بمجمل استثناءات يتفرّد بها، وتنتج عن قوة، وبناء نفسي متميز، فلاريب "أن الشعر هو نشاط نفسي يقوم على تأمل قوى النفس، وملكاتها العاملة، إنه تراء وتحديق طويل في مشاعرها، وحاجاتها الروحية، سبيلاً لإشباعها عبر نوع من التخارج، تتولى خلاله اللغة تصوير هذه الحاجات: المشاعر، ومسكها في صور حسيّة، لغوية، إنه استبطان صامت، توغّل في عالم الذات اللامتناهي"[33]، وقال الشَّريف الرَّضي يمدح أباه:

لثمْتَ خدّ الشمس منه بأســـــــودٍ، والنور يشـــــــهدُ أنّ وجهكَ ســـــافرُ
يومٌ تودُّ السُّمرُ أن صـــــــــدورَها، لتعُدّ ما كســـــــبتْ يداكَ، خناصـــــرُ
والسبيُ تعصفُ بالجيوبِ أكفُّهـــــا، في جنبِ مـــــــــا عصفتْ قناً وبواترُ
وبذلتَ أجسادَ الكُماة لوحشـــــــةٍ، فعلمْنَ أنكَ أنتَ فيـــــــــه الظافـــــــرُ [34]

يستعمل الشاعر مفردة النور بوصفها علامة سيميائية تنتج المدلول السيميائي:(وجهك سافر)، الذي يشير إلى التفوق في البطولة، في سياق يجهر بمعطياتها التقابلية الدالة: السمر، والسبي، والقنا، والبواتر، والكماة، والظافر، ومن تلك العلاقة التقابلية بتشكلاتها السيميائية يحقق الشاعر خطاب النص، وهو التعريف بممدوح هو بطل متميز، لقد استلهم الشاعر مفردة النور في هذا النص في فضاء مشهد مُتحرك، يحيل على وصف تلك البطولة، إذ "إن العلاقة بين الوصف والبناء علاقة ترادف"[35]، لقد رسم لممدوحه ملامح المجد بوصفه الدال على هويته السامية، وتبدت العلامات المنتقاة في فضاء المشهد، اكتناه لطبيعة ذلك السموّ، وبيان معطياته التي يتفوق بها،

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.51.2023.636

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (51) نوفمبر 2023
Volume (51) November 2023
IJOHSS

وتتحقق به في مدى القتال الذي يكشف بسالته، وشجاعته الكبيرة المميزة، التي يؤكدها عبر محاور النص الدلالية، ولا سيما مفردة النور وما تثيره من دلائل الوضوح، حيث يعتمد عليها النص كمرجعية طبيعية كاشفة، ودالة، على المجد والعلى.

وقال يمدح الطائع لله:

فاللهُ يعلمُ أنّ نورَكَ لم يـــــزلْ مُـــستهزئاً بالظلـــــم والإظـــلامِ
والمجدُ يُخبرُ عن فِعالكَ أنّـــــــهُ يُدلـــي إليـــــــهِ بحرمةٍ وذِمـــــامِ
فاسمعْ، أميرَ المؤمنين، فإنما الـ أســـماعُ أبوابٌ إلـــــى الأفهـــامِ
القولُ في الإطراءِ غيرُ مبلَّـــــــدٍ، والشـــــكرُ للنعمـــاءِ غيرَ عُقـــامِ
جاءتكَ مُحصدة القوى حبّـــــارةً، تســـــتعبدُ الأرواحَ فـــي الأجسامِ
من لي بإنشادِيكَها في موقـــفٍ أعتدُّهُ شـــرفاً مـــــدى أيامـــــــي
لا أدّعي فيــه الغلوّ، وإنمـــــــا يُوفـــــي علـــى قُلل الرجالِ كلامي[36]

تجلت الرؤية السيميائية من خلال الدال المعنوي (نورك) لشخص الممدوح، الذي يحيل على مدلولات ضدية؛ ليكون رؤية سيميائية كاشفة، متولدة عن ذاته، وتميزها ،كما يوظف الشاعر الدوال الجزئية المنتقاة من معجم المديح، بالقول بـــ: الإطراء، ومحصدة القوى حبارة-لقصيدة مدحه-، والغلوّ، فهي معطيات منسلة من العلو والتميز ودالة عليه، لقد ورد النور في هذا النص مع مكونات شكلت أرضية بنى الشاعر عليها مديحه، بأُسلوب أتاح استعمال دوال صورية، وحسية سمعية، تحيل لإنشاده للقصيدة، وتغنيه بسمات وشمائل الممدوح؛ للكشف عن قيمته المعنوية، وملامحه المادية، "فالقيمة المهيمنة تصلح لأن تكون كلية وشاملة، ضمن استقرارها على تركيبة معرفية واحدة"[37]، وفي هذا النص جاء الفاعل الأساس قيمة مقدسة علوية، بالقول: **الله يعلم: أن نورك؛** ليثبت رؤية شعرية تنص على شخصية ليس لها مثيل، إذ تمثله خارجاً عن المألوف العياني، عبر صيغة انتجها خيال الشاعر فهي مدى جرى تدعيمه بأُسلوب فني مميز، عبر أدوات اللغة التي امتلك الشَّريف الرَّضي إدارتها بامتياز، فأعلى من قيمة الممدوح إلى الذرى.

كما قال مخاطبا بعض أصدقائه وقد عاد من سفر:

وكنا نُصانعُ فيكَ الهمـــــومَ، فصِرنا نُصانعُ فيـــــكَ الطربْ
إذا ما الفتى وصل الزائريـــــ نَ أثنوا عليه نـــــأى أو قَرُبْ
وكيف يُهنّيكَ لفظُ امـــــــرئٍ يُهني بقُربكَ أعلـــى الرُّتـــبْ
وكنا بذكركَ نشفي الغليـــلَ، وما بيننا أمـــدٌ مُنشـــعِبْ
إلى أن تهلَّل وجهُ الزمـــانِ، ومَن بـــانَ مثلُكَ عنه شَحَبْ
رأينا بوجهكَ نورَ اليقيـــــــ نِ، حتـــى خلعنا ظلامَ الرِّيَبْ
وما زلتَ تمسحُ خدَّ الصباحِ، وترحـــمُ قلبَ الظلامِ الأشـــبْ [38]

وردت مفردة النور في النص بوصفها دالة سيميائية معنوية على اليقين، لتتولد الإسقاطات الدلالية من خلال التفاعل في مدى التضاد، بين النور لليقين بوجه الممدوح، والظلام للريب، بالتوازي مع التهلل والشحوب لوجه الزمان؛ ليضيء فضاء من زاوية منفصل بعضها عن بعض، ولكنه يدمجها في منطقة رؤيوية يحقق عبرها الالتقاء المعنوي بينهما، في مجلى الحضور، وصياغة الوضع الآني بقدوم الممدوح من السفر، إذ لا حضور للظلام عند حضوره، فعبَّر الشاعر في القول بالنور عن رؤيته لممدوحه في بُعد يظهر قربه الحميم له، وعلاقته به على الصعيد الاجتماعي، إذ يستلهم دالته بوصفه ناتجاً لما فيه من مجد، وتفوق مادي ومعنوي، وتكريساً لما تمتلكه هذه المفردة من معطيات، وجدناها تتجاور مع القول بـ: الطرب، والثناء، وأعلى الرتب، وشفاء الغليل، والصباح، والرحمة؛ للدلالة على تلازم قدومه مع مفاهيم سلوكية، وأبعاد كونية دالة، تشكل رؤيته له، وتفرده بملامح عليا مستقلة بذاته، تتداخل مع معطيات طابع له امتياز مرتبط بهوية مميزة يستجلي التعريف بها.

سيميائية النور في رثاء الشريف الرضي:

تجلت سيميائية النور في غرض الرثاء في شعر الشريف الرضي، للدلالة على حدث استثنائي، وتاريخ متميز من السموّ المرتبط مع شخصية المرثي، بالتزامن مع إيراد علامات مجاورة تُصور صفاته النفسية، والخلقية، منها قوله يرثي الحسين بن علي (ع):

ميّتٌ تبكي له فاطمـــــــةٌ، وأبـــوها، وعليٌّ ذو العُلـــــــى
لو رسولُ اللهِ يحيا بعـــــدَهُ، قـــعدَ اليوم عليهِ للعـــــــــزَا

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.51.2023.636

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (51) نوفمبر 2023
Volume (51) November 2023
IJOHSS

معشرٌ منهمْ رسول الله والـــ كاشـــفُ الكربِ، إذا الكربُ عرا
صِهره الباذلُ عنهُ نفســـــهُ، وحســـامُ اللهِ في يومِ الوغـــــى
أولُ الناسِ إلى الداعي الذي لـــم يُقدِّم غيرهُ لمّا دعـــــــــا
ثم سبطاهُ الشهيدان، فـــذا بحســـا السمّ، وهذا بالظبـــــى
وعليّ، وابنُه الباقر، والصـــ ادقُ القـــول، وموسى، والرضا
وعليّ، وأبوهُ وابنـــــــــــــه، والذي ينتظر القـــوم غـــــــدا
يا جبالَ المجد عزّاً وعُلـــى وبـــدورَ الأرضِ نوراً وسنـــــا
جعلَ اللهُ الذي نابكُـــــــم سببَ الوجـــد طويلاً والبكـــا
لا أرى حزنكُم يُنسى، ولا رزءكم يُســـلى، وإن طالَ المدى (39)

يتشكل المبنى السيميائي في النص عبر الوصف، والصورة التي ضمّت دوال وثيمات تكمل بعضها بعضاً؛ لإبراز المرثي وقيمته في سياق وردت في بؤرته ثيمة النور، حيث احتلت مركزاً رامزاً، وناطقاً، لمعاني التفوق، والتميز، والاختلاف، الشخصي والانتمائي، حيث النسب الشريف، فالشاعر جاء بتلك الدالة السيميائية لتكون علامة على وزن المرثي السامي، فهي دلالة موحية ينبثق عبرها الوجود مع الشهادة، كما أن الشاعر يستثمر مع دالته السيميائية تقنيات لغوية أسلوبية، إذ وظف أسلوب النداء: يا جبال المجد عزاً، والعطف عليها بـــ: بدور الأرض نوراً وسنا؛ ليكشف عبر هذا الاستخدام سيميائية التقابل المضمر بين الدال والمدلول، مع التعريف بخلجات نفسه الموجعة، فمن المعروف أن نكبة الحسين عليه السلام في كربلاء قد هزّت العالم الإسلامي نفسياً، وفي هذه القصيدة عبَّر الشَّريف الرَّضي عن أحزانه على استشهاده، الذي كان له أثر عميق في وعيه، وفي وجدان شعره، الذي ما انفك يتذكره فيه صراحة ورمزاً، "وتجلت في مراثيه للحسين مديات مآسيه الروحية، بوصفها نافذة تطلّ على آلامه، وفشله في تحقيق آماله في الحياة، واستقصاء لهواجسه الشخصية، وطموحه الآفل، وإحالته على دالة تتمثل بتلاحم مآل الحسين ومقتله، مع خيباته هو في واقعه الآني"(40)، وفي هذا النص وردت مفردة النور بوصفها علامة سيميائية، بالإحالة على أجداده، ابتداءً بالرسول□، مُعبراً عن مكانتهم السامقة، مستجلياً مكونات محسوسة، هي الجبال: للمجد، والعز، والعلى، والبدر: للنور، والسنا على الأرض، ويكشف هذا الاستعمال عن مدى يحيل على جذور قارّة في مبنى المفردة، وإيحاءاتها، فهي دال حيوي عيني لتوصيف هُويتهم وانتسابهم، لذا فقد احتلت البؤرة الأساس التي تنبه لأصل شرفهم العميق، وناتجها من حيث المبدأ، وجسور التواجد المعنوي الصافي الذي يحيل إليهم، برغم الواقع التاريخي الذي أدى إلى مقتل الحسين، إذ إن بقاء أثره المعنوي النفسي هو خلاصة ذلك النور وتلك الجبال.

ويقول الشَّريف الرَّضي في رثاء بعض معارفه:

كنتم نجوماً لذي الدّهماءِ زاهـــــــــرةً تضيءُ منهـــا الليالي السودُ والـــدُّرَعُ
إن تخبُ أنوارُكم من بعد ما صدعتْ ثوبَ الدجـــى فلَضَوءِ الشمسِ مُنقطعُ
في غرّةِ المجدِ مُذ غُيبتُمُ كلـــــــفٌ علـــى الزمان، وفي خدّ العُلى ضَـــرَعُ
وبالمواضي حِرانٌ في الوغى، وبأعـ ناق الضّـــوامر مُذ أُرحِلتمُ خضَـــــــعُ (41)

تصطف دوال: النجوم، والشمس، وغرة المجد، مع العلامة السيميائية النور؛ لاستدعاء معاني الضياء والعلى، حيث تتولد مدلولات سيميائية متقابلة لتعضيد رسالة النص، وتقديم ما يتميز به المرثي من صفات الشرف، وهو الدلالة المنتخبة على تفوق المرثي، وسموّ منزلته، فيحيل النور في النص عبر الرثاء على النجوم، وهي المعادل الموضوعي للمرثي، وهذه الإحالة تنتسب في فضاء النص إلى دالة نابعة من مدى مستثنى في الوجود للعلى، الذي تحيل إليه علامات تؤدي الغرض ذاته، بالقول بضوء الشمس المنقطع، وخدّ العلى، كما يحيل هذا الاستثناء على مضادات تستجلي انقطاعه له، وتميزه، ومنه القول بـ:خضع، وامتنع، وهذان المتغيران يأخذان خصائص الدوال التي يتكئ عليها النص لانتخاب مادة الفقد، وصفات المرثي المثالية، التي تتشكل في إطار خاص من أُصول تتطابق مع صفاته الوجودية، لقد اعتمد النص في التعريف به على مدركات جسمية، ونفسية، تمتلك معطيات عالية في الفعل بإحالتها على مكونات الطبيعة، وبؤرتها دالة النور.

وقال الشَّريف الرَّضي في قصيدة أنشأها في تعزية بهاء الدولة بوفاة ولده:

والبدرُ ما ضرّه تفـــــــــــرّدُهُ، لا خبـــــــا نورُه ولا عِيبـــــــا
وما افتراقُ الشبولِ عن أســـــــدٍ بمانـــــــــعٍ أن يكونَ مرهوبـــــا
والفحلُ إن وافقتْ طروقتُـــــــــه، أبدلَ مـــــــــن مُنجبٍ مناجيبـــا

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.51.2023.636

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (51) نوفمبر 2023
Volume (51) November 2023
IJOHSS

والعنبرُ الوردُ إنْ عبثتَ بـــــــه، مثلمـــــــــا زادَ عرْفهُ طيبـــــــــا
يطيحُ مُستَصغَرُ الشرار عن الزنـ دِ، ويبقى الضـــــــــرامُ مشبوبا
محصتِ النارُ كلّ شائبـــــــــــة، وزادَ لونُ النضـــــــــار تهذيبـــا
إن زالَ ظفرٌ، فأنت تُخلفُـــــــــه، والليثُ لا يُخلـــــــــفُ المخاليبا
بقدر عزّ الفتى رزيَّتُـــــــــــه، مَنْ وترَ الدهر بـــــــاتَ مرعوبا
واللؤلؤ الرطبُ في قلائـــــــدِه، ما كان لولا الجـــــــلالُ مثقوبـــا (42)

تبدى النور دالة سيميائية حسيّة في النص بإحالته للبدر، وتفرده، فهو علامة على معنى كامن يحيل على المخاطَب، ويشير على بقائه في تألق برغم الغياب-غياب الابن(المُتوفى)- حيث يقدم دلالته التي تتسق مع موقف التعزية، ومنزلة المُخاطَب، وقيمته، ويولّد الشاعر من انبثاق ذلك النور الدوال السيميائية على قيمة الحياة للمخاطَب، محيلاً على مدحه في معرض التعزية في ولده، ومستغرقاً بالمدح عبر دلالات تتولد من بعضها البعض، فالقول بافتراق الشبول عن أسد، والفحل، والعنبر الورد، والضرام المشبوب، والنضار المهذب، هذه المداخل جعلها مقياساً للأشياء الباقية، وميزاناً لقيمة الذات الباقية، برغم الفقد، حيث يرصد ما فيها من معان جميلة تتذوقها النفس وتطمئن لها، فضلاً عمّا فيها من تأثير على النفس والسموّ بها نحو أبعاد كونية واضحة، فهي قياس للنظير على النظير، ورسالة تحيل على إدراك أشياء قد تكون غائبة في لحظة الفقد، ولكنها حقيقة متجسدة في مبنى الأشياء، وهذه الركائز كانت مجلى واضحاً في قصيدته، لمواساة القلب المجروح وتخفيف آلامه المبرحة، وصدمته على أنقاض فراق موجع، ففضاء النص كُرس للتعبير عن الذات الباقية الفاقدة التي رمز لها بالبدر ونوره في مفتتح النص.

الخاتمة:

استلهم الشَّريف الرَّضي مفردات النور والظلمة وما فيهما من تجليات وتداعيات، للتعبير عن فكره وعواطفه ورؤيته للكون وما فيه من مظاهر ومفاهيم، عبر أساليب وبنى لغوية تأطرت على مداهما، وقد تكررت مفردة النور في ديوان الشاعر بوصفها إشارة أو علامة على مدلولات خاصة؛ للتعبير عن مفاهيم أراد الجهر بها وتقديمها للمتلقي في غرضي: المديح، والرثاء، فورد الدال السيميائي (النور) في ديوان الشريف الرضي في غرض المديح، للتعبير عن: الجمال، والكرم، والبروز، والتفوق في البطولة، والمجد، والتميز، واليقين، وكان دالة مركزية يحملها الممدوح ويتميز بها بالتوازي مع ذكر صفاته التي يعلو ويسمو بها على الآخرين، بينما تجلت سيميائية النور في غرض الرثاء في شعر الشريف الرضي، للدلالة على حدث استثنائي وتاريخ متميز من السموّ المرتبط مع شخصية المرثي، بالتزامن مع ايراد علامات مجاورة تصور صفاته: النفسية، والخلقية.

الهوامش

1. معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات(السموطيقا)، تشارلدر دانيال، 81.
2. ينظر: الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، أحمد يوسف، 12.
3. ينظر: السيميائيات النشأة والموضوع، سعيد بنكراد ، مجلة عالم الفكر، مج35، ع3، مارس 2007، 13.
4. ينظر: تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، 112/13، لسان العرب، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، مادة (سوم)، تاج العروس في جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، 350/8.
5. ينظر: سورة البقرة، الآية: 273، سورة الأعراف، الآية: 46، والآية:48، سورة محمد، الآية:30، سورة الفتح، الآية:29، سورة الرحمن، الآية:41.
6. سورة، الأعراف، من الآية 46.
7. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ص1444. التسبيد: من سبد وهو استئصال الشعر وإعفائه جميعاً.
8. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، 260/3.
9. ينظر: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، 392/2.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.51.2023.636

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (51) نوفمبر 2023
Volume (51) November 2023
IJOHSS

10. ينظر: علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، عادل فاخوري، 7.
11. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 48/3 .
12. نفسه، 50/3.
13. دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني،46.
14. البيان والتبيين، 76/1.
15. سيميائية اللغة، جوزيف كورتيس، 33.
16. آليات إنتاج النص الروائي نحو تصور سيميائي، عبداللطيف محفوظ، 31، 32.
17. سيميائية النص الادبي، أنور المرتجي، 34.
18. ينظر: آليات التأويل السيميائي، موسى ربابعة، 22 وما بعدها.
19. سورة يونس، من آية: 5.
20. سورة المائدة، من آية، 35.
21. سورة الزمر، من آية 69.
22. سورة المائدة، من آية 44.
23. سورة نوح، من آية 16.
24. سورة التحريم، من آية 8.
25. ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، 5/ 368، القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، 628.
26. اللسان مادة (نور).
27. ينظر: العين، الخليل الفراهيدي، 275/8، معجم مقاييس اللغة، 376/3.
28. ينظر: مجمع البحرين ومطلع النيرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، 31/3.
29. ينظر: تاج العروس، 196/1.
30. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، 211/4.
31. ينظر: https://ar.wikipedia.org .
32. ديوان الشَّريف الرضي، 422/1.
33. 34 مكانة الشعر مقدمات في الأُصول النفسية والفكرية للقصيدة، عادل عبدالله، 43، 44.
34. ديوان الشريف الرضي، 437/1.
35. تحليل النص الشعري دراسة ما وراء نقدية في البنيوية العربية، سعيد عبدالهادي المرهج، 30.
36. الديوان، 338/2.
37. شحنات المكان جدلية التشكيل والتأثير، ياسين النصير، 23.
38. الديوان، 105/1.
39. الديوان، 47/1.
40. الرثاء في شعر الشريف الرضي ذكر الموت نموذجاً، د. مريم عبدالنبي عبدالمجيد، مجلة الخليج العربي، مج50، ع4، كانون الأول، 2022، 288.
41. الديوان، 646/1.
42. الديوان، 137/1.

المصادر

1. القرآن الكريم.
2. آليات إنتاج النص الروائي نحو تصور سيميائي، عبداللطيف محفوظ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2008.
3. آليات التأويل السيميائي، موسى ربابعة، آفاق للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2011.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.51.2023.636

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (51) نوفمبر 2023
Volume (51) November 2023
IJOHSS

4. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، إعداد: عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1978 .
5. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط2.
6. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009.
7. تاج العروس في جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، منشورات مكتبة الحياة، ط1، بيروت، لبنان، ط1، 1306ه.
8. تحليل النص الشعري دراسة ما وراء نقدية في البنيوية العربية، سعيد عبدالهادي المرهج، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 2008.
9. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة.
10. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999.
11. الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، أحمد يوسف، منشورات الاختلاف، المغرب، ط1، 2005.
12. ديوان الشَّريف الرضي، صحّحه وقدّم له: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط3، 2012.
13. الرثاء في شعر الشريف الرضي ذكر الموت نموذجاً، د.مريم عبدالنبي عبدالمجيد، مجلة الخليج العربي، مج50، ع4، كانون الأول، 2022.
14. السيميائيات النشأة والموضوع، سعيد بنكراد، مجلة عالم الفكر، مج35، ع3، 2007.
15. سيميائية النص الأدبي، أنور المرتجي، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1987.
16. سيميائية اللغة، جوزيف كورتيس، ترجمة: جمال حضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 2010.
17. شحنات المكان جدلية التشكيل والتأثير، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 2011.
18. صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري، عناية : أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1998.
19. علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، عادل فاخوري ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1985.
20. العين، الخليل الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط2.
21. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005.
22. لسان العرب، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع كوستا تسوماس وشركاه، القاهرة.
23. مجمع البحرين ومطلع النيرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، مطبعة طراوات، الناشر مرتضوي، طهران، ط1، 1362ش.
24. مكانة الشعر مقدمات في الأُصول النفسية والفكرية للقصيدة، عادل عبدالله، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-العراق، ط1، 2009.
25. معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات(السموطيقا)، تشارلدر دانيال، ترجمة: شاكر عبدالجميد، القاهرة، 2005.
26. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1411ه.
27. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 1996.
28. https://ar.wikipedia.org

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.51.2023.636